السجون والتعذيب بولاية سيدي بلعباس:
سجن بلدية بوشبكة (بوخنفيس) أنموذجا

د. الجيلالي شقرون

جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس

ضربت الإدارة الفرنسية أثناء تواجدها في الجزائر المواثيق والمعاهدات الدولية المتعلقة باحترام كرامة الإنسان عرض الحائط فسلطت على الجزائريين كل ألوان وصور التعذيب بحجة حماية سير الحياة العادية واستتباب الأمن وتناست الإدارة الفرنسية أن وجودها بالجزائر في حد ذاته جريمة ضد الإنسانية ولم ترع في ذلك عهدا ولا ذمة فسخرت كل إمكانياتها المادية والبشرية واستصدرت قوانين ردعية وأخرى لتبرئة أعمالها الإجرامية والاستبدادية لتكميم أفواه أفراد المجتمع الدولي (بوسلطان، م- حمام، ب. 1986: 136)

رسخت المواثيق الدولية مبدأ احترام أسرى الحرب ومعاملتهم معاملة حسنة. واتفق المجتمع الدولي على احترام هذه المواثيق في حالة وأثناء الحرب, ومن أهم المواثيق التي أكدت على ذلك معاهدة لاهاي بهولندا عام 1899 وعام 1906 ومعاهدة 1907 المنظمة لقانون الحرب ومعاملة الأسرى (بوسلطان، م- حمام، ب. 1986: 136)

تعتبر فرنسا فردا فاعلا من أفراد المجتمع الدولي الملزم بتطبيق واحترام كل المواثيق والمعاهدات الواردة في القانون الدولية، إلا أنها لم تحترم تلك المواثيق واتخذت عدة إجراءات عسكرية وإدارية تمثلت في استصدار قانون الطوارئ (Loi d'Etat d'Urgence) وذلك بناء على تصريحات لمسؤولين فرنسيين على رأسهم منديس فرانس (Mandes

France) في 12 نوفمبر 1954 قوله: " لا تتوقعوا منا أدنى رحمة تجاه اليذن أسموا أنفسهم بالثوار". وصرح أنتوان بيناي :" كل عمل ثوري ضد الحكومة الفرنسية لا يمكن قبوله على أرض شمال أفريقيا، فعلينا قمعه بدون رحمة" (Moine, A. 1986: 47).

تتميز قرية بوخنفيس بموقعها الاستراتيجي على ضفاف وادي مكرة، وهي قرية تقع في جنوب غرب مدينة سيدي بلعباس على مسافة 16 كلم, يحدها من الشمال الغربي سهل مسار وسيدي خالد ومن الجنوب والغرب سهل الطابية وسيدي علي بن يوب.

ومصدر اسم القرية الشبكة حيث كانت ممرا هاما لمختلف القوافل التي كانت تشد الرحال متوجهة من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب وتمثل بوشبكة مفترقا للطرق لاستئناس القبائل بها ، وسميت بطريق المحلة أو السلطنة الذي مر به يوسف بن تاشفين ويعقوب بن المنصور .

وأطلقت عليها الإدارة الاستعمارية اسم بوخنفيس (Boukhanefis) ويدخل ذلك في السياسة الفرنسية التي انتهجتها للقضاء على معالم الشخصية العربية الإسلامية. وتم تأسيسها عام 1848 بناء على قانون 19 سبتمبر 1848 الذي يرمي إلى تأسيس عدد من المراكز التعميرية ،واحتفظت بهذا الاسم في الذاكرة المحلية إلى يومنا هذا. وفي عام 1872 انفصلت بوخنفيس عن بلدية سيدي بلعباس لتتحول إلى بلدية كاملة الصلاحيات (L, BASTIDE . 1988: 210- 240)

وانطلاقا من الحراك الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي قررت الإدارة الاستعمارية بناء معتقلات وسجون بهدف تأديب كل من تسول له نفسه ارتكاب مخالفة من المخالفات التي يعاقب عليها القانون.

ومن هذا المنحنى قامت الإدارة الفرنسية ببناء محتشد سمي بالبرج العسكري ببلدية بوشبكة لمراقبة سكانها والقبائل الثائرة أهمها قبيلة بني عامر. وبناء على مراسلة لكولونيل مدير الهندسة في 28 أوت 1878 التي بعث بها إلى المسير الإداري لبلدية بوخنفيس المختلطة للحصول على القطعة رقم 1 التابعة عقاريا للمساحة الإجمالية المخصصة للسجن الخاص بالأهالي، وذلك من أجل إقامة سوق أسبوعي في المكان المذكور آنفا وكان المرسل مدير الهندسة يعتقد جازما أن تلك القطعة تابعة للهندسة العسكرية (R, TABET . 1999 : 54)

فبعد المعاينة الميدانية للمكان تبين أن المكان كان عبارة عن مطامير أنشأها سكان المنطقة للإحتفظ بغلاتهم، ولما رأوا أنه المكان المناسب قرروا بناء السجن عام 1874 بأيد جزائرية على مساحة إجمالية قدرت بـ 201 هكتار وسط دوار تفيلاس(. ADOUE 1972 ,L :44-45) في الضفة اليسرى لوادي مكرة أي في المكان المرتفع للبلدية.

مكونات السجن:

1 - ثلاثة غرف صغيرة تتسع لـ 120 سجينا.

2 - أربعة زنزانات صغيرة جدا لا تزيد مساحة الواحدة على ثلاثة أمتار مربعة، يوجد في كل زنزانة حلقتين حديديتين مشدودتين بالحائط حيث كان يتم تعليق كل من تسول له نفسه أو تنسب له تهمة المشاركة في تصرف غير قانوني أو تهمة الانضمام إلى جبهة التحرير الوطني أو

إيوائه للفلاقة أو تقديم دعم مادي ومعنوي للثورة. ويوجد في ركن كل زنزانة برميل يستعمل كمرحاض.

3 - ساحة صغيرة يخرج إليها السجناء أثناء النهار.

4 - قاعة خاصة بالإدارة والحراس.

ويوجد ببوشبكة (بوخنفيس) دارا للمحكمة التي بنتها الإدارة الإستعمارية عام 1875 لتقديم المتهمين إلى العدالة في صبغة قانونية ثم يقومون بنقلهم إلى السجن بعد إدانتهم وإصدار أحكام في حقهم (311: 1904. V, DANGLES)

ولا يزال مجاهدون على قيد الحياة ألقت عليهم السلطة العسكرية القبض وأدخلتهم السجن ثم قدمتهم إلى المحكمة المتواجدة بعين المكان وأصدرت أحكاما في حقهم، فمنهم من أعادته إلى سجن البرج، ومنهم من أعدمته، ومنهم من سفرته إلى سجن آخر، منهم مدير الأمن الوطني سابقا السيد علي تونسي رحمه الله. وقد سجلت بعضا من معاناتهم داخل السجن، ورووا لي أشياء غريبة.

إن نظام الزنزانة تعودك على التحمل والتأقلم مع الإنارة الليلية فيها، وعندما تدق الساعة العاشرة ليلا يخيم على السجن صمت رهيب وتنعدم الحركة عدا دفتي حذاء الحارس الليلي الذي كان يتحسس همسات المسجونين أنينهم في حالة المرض، ولذلك كان الواحد إذا اشتد به المرض يكمم فمه أثاء السعال حتى لا يسمعه الحارس ولا يعرض أقسى العقوبات (مجلة أضواء التاريخية. 1998 : 16- 17).

وبعد قضاء ليلة قاسية بعيدا عن الأهل والولد مع مصير مجهول في الغد ويأتينا الحارس ويوقظنا باكرا وفي تمام الساعة الثامنة صباحا

يخرج المعتقلين إلى ساحة السجن في طوابير للمنادات لا لمعرفة الحاضرين والغياب ولكن للتأكد من عدم وجود أموات، لأنه يستحيل الفرار, ثم تتقدم جماعة لتوزيع فطور الصباح وأي فطور, حيث يتكون من كأس شاي (نعناع ممزوج بالماء المغلي)، وعقب ذلك ينتشر السجناء في الساحة ليلاقوا السب والشتم والإهانات اللإنسانية وأحيانا يتعرض البعض للعقاب الجسدي الذي تشمئز وتتقزز منه النفس البشرية، ثم يأخذ الحراس الشخص الذي عاقبوه إلى الزنزانة ويربط في الحلقتين الحديديتين من الصباح إلى الليل ليلقى العذاب المهين من طرف الجلادين, ويمنع السجين خلال هذه الفترة من قضاء حاجته وتدوم العقوبة 15 يوما أو تزيد ويحرم من زيارة أهله إنها أيام من الجحيم الاستعماري.

وفي داخل الزنزانات يوجد رسومات في شكل خطوط خطها المعتقلين منذ دخولهم السجن إلى يوم خروجهم, ومن خلالها يمكن التعرف على الأيام التي قضاها السجين، كما يمكن معرفة عدد السجناء الذين كانوا في الزنزانات.

وقد تمكن بعض السجناء من وضع حد لأحد المسؤولين للسجن والمدعو سونشاز (Sanchez) على إثر مكيدة دبرها له وبذلك قضى على أحد رموز التعذيب في الجزائر

وتمت تلك العملية في عام 1959 . (الوثيقة الأولى رقم 11879 المؤرخة في 28- 08- 1878), (الوثيقة الثانية رقم 12879) (المؤرخة في 01- 09- 1878.)

الإحالات:

المصادر والمراجع باللغة العربية:

1 - بوسلطان، محمد - حمام، بكاي. (1986) .القانون الدولي المعاصر وحرب التحرير. الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب.

2 - بوشنتوف، محمد. (1998). "سجن بوشبكة الجهنمي". مجلة أضواء التاريخية، مديرية المجاهدين سيدي بلعباس، العدد 1. ص ص 14- 18.

3 - المراسلات:

- الوثيقة الأولى: رقم 11879 المؤرخة في 28- 08- 1878.
- الوثيقة الثانية :رقم 12879 المؤرخة في 01- 09- 1878.

- **المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:**

1- ADOUE Léon. (1972). "la ville de Sidi Bel-Abbes. Histoire légende Anédotes". Sidi Bel-Abbes: Imp. René Roidot.

2- BASTIDE léon, (1880). "Sidi Bel- Abbes son arrondissement". Oran: Imprimerie typo- litho.

3- DANGLES Victor, (1904)." La colonisation en Oranie 1898- 1909" . paris : Bulletin de la société de géographie.

4- Moine André, (1979). "Ma Guerre d'Algérie". Paris: Editions Sociales.

5- TABET R .A, (1999)."Histoire d'Algérie. Sidi Bel-Abbes. De la colonisation à la guerre de liberation en zone 5 wilaya 5". Alger: ENAG.